التشيع لمعاوية

في عهد العباسيين

كان مقتل الخليفة عثمان بن عفّان اول ما شتّت الالفة في الاسلام، وحل عُرى الوحدة والجماعة، ودعا الى التحيّز والتحزّب في الامصار. فتباينت الاهواء والبدَع، وتعدّدت الفِرَق والشِيَع، وتميز كل قطر بنزعته ونحلته. ولذلك لما اراد محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس توجيه دُعاته الى الامصار قال لهم في ما حكاه ابن الفقيه في كتاب البلدان[1]، وعنه نقل البشاري المقدسي في احسن التقاسيم[2]، وياقوت في معجم البلدان[3]، ورواية ابن الفقيه اتمّ واصح، قال:

« اما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده. واما البصرة وسوادها فعثمانية مدين بالكف تقول: « كفّ عبدالله المقتول ولا يكن عبدالله القاتل. » واما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج وسلمون في اخلاق النصارى. واما اهل الشام فليس يعرفون الا آل سفيان وطاعة بني مروان عداوة راسخة وجهل متراكم. واما مكة والمدينة فقلب عليها ابو بكر وعمر. ولكن عليكم باهل خراسان فان هناك العدد الكثير والجَلَد الظاهر. »

التشيع بالشام

اما كون اهل الشام شيعة آل ابي سفيان ومروان لا يعرفون سواهم، فهو ما لا حاجة الى التنبيه عليه. ولكن قد خفي علينا كثير من انباء هذه العداوة الراسخة التي كانوا يناصبونها كل من لم يشاركهم في تولي بني امية. فمن اطرف ما اتصل بنا من نوادر اخبارها بل من اغرب مظاهرها وآثارها ما ورد في ترجمة ابي الحسن المدائني بروايته قال:

« امر المأمون احمد بن يوسف بادخالي اليه فلما دخلت ذكر علي بن ابي طالب عليه السلام فحدثته فيه باحاديث الى ان ذكر لعن بني امية له فقلت: حدثني ابو سلمة المثنى بن

---

١) ص ٣١٥

٢) ص ٢٩٣ – ٢٩٤

٣) ج ٢: ٤١٢، طبعة اوربة

عبدالله اخو محمد بن عبدالله الانصاري قال : قال لي رجل : كنت بالشام فجعلت لا اسمع احدًا يسمي عليًا ولا حسنًا ولا حسينًا وانما اسمع معاوية ويزيد والوليد قال : فررت برجل جالس على باب داره وقد عطشت فاستسقيته فقال : يا حسن اسقه فقلت : أسميت حسنًا ؟ فقال : اي والله ان لي اولادًا اسامهم حسن وحسين وجعفر فان اهل الشام يسمون اولادهم باسماء خلفاء الله ولا يزال احدنا يلعن ولده ويشتمه وانما سميت اولادي باسماء اعداء الله فاذا لعنت انا لعن اعداء الله فقلت له : ظننتك خير اهل الشام واذا جهم ليس فيها شرّ منك»[1]

ولا يخفى ما في استقراء نظائر هذه الملحة من الفائدة والجدوى في تمثيل العصر الشامي الاموي في اخلاقه وعاداته ونوادره ونكاته . وهي وحدها كافية لتعريف شدّة تشيّع اهل الشام لخلفائهم من بني امية ومبالغتهم في الانتصار لهم . وما زال منهم بدمشق وضواحيها بقية من نسل معاوية اتصلت من عهده وتفرعت ، عُرف منها في القرن الحادي عشر للهجرة بيت خليل بن زين الدين الاخنائي « كان اجداده غالبهم قضاة القضاة وصدور الصدور »[2] ، وبيت بني الكوكية من التجار المياسير كان لهم مآثر وخيرات ، ولهم اقارب بمكة اشتهر منهم جمال الدين بن محب الدين المعروف بالجُنيد كان يضرب به المثل في حسن لعب الشطرنج[3] .

وكان انحراف اهل الشام عن الطالبيين اعظم منه عن الهاشميين . ولذلك لما استولى الفاطميون على دمشق قامت بين المغاربة والبلديين وقائع وفتن ساق ابن القلانسي اخبارها وقال : « كان اهل دمشق يأبون المغاربة لمخالفتهم لهم في الاعتقاد ولانهم امويون »[4] وبلغ من كراهتهم للعلويين انهم كانوا يتظاهرون احيانًا بجهل علي بن ابي طالب اذا سئلوا عنه .

« وفي جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وثلثمائة (١٠٠١ م) قُبض على رجل من اهل الشام سُئل عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رضه) فقال لا اعرفه فاعتقله قاضي القضاة الحسن بن النعمان قاضي امير المؤمنين الحاكم بامر الله على القاهرة المعزية ومصر والشامات والحرمين والمغرب وبعث اليه وهو في السجن اربعة من الشهود وسألوه . فاقرّ بالنبي صلعم وانه نبي مرسل وسُئل عن علي بن ابي طالب فقال لا اعرفه . فامر قائد القواد الحسين بن

١) ياقوت : ارشاد الاريب ٧ : ٣٦
٢) خلاصة الاثر للمحبي ٢ : ١٢٢
٣) » » » ١ : ٤٩٠ — ٤٩٢
٤) ذيل تاريخ دمشق ١٦

جوهر باحضاره فخلا به ورفق في القول له فلم يرجع عن انكاره معرفة علي بن ابي طالب فطولع الحاكم بامره فامر بضرب عنقه فضرب عنقه وصلب»[١].

ولا شك ان هذه الاستماتة في رفض زوج فاطمة من اغرب آيات التعصب والتشيع. ومنها يتضح ما كان بين الامويين والعلويين من البغض والعداء.

التشيع بمصر

لم تخلُ مصر من اشياع لمعاوية ولا سيما في الايام الطولونية والاخشيدية. وكان اشدهم تعصباً له السودان من الجند على كثرتهم وسطوتهم وبلغ عددهم في آخر دولة احمد بن طولون اثني عشر الفاً. قال القلقشندي: «وتبعتهم الدولة الاخشيدية على ذلك»[٢] واشتدت شوكتهم في ايام القائد كافور فكانت مصر لا تخلو من الفتن في يوم عاشوراء. وفي سنة ٣٥٠/٩٦١ حصلت منازعة بين الجند وقوم من الرعية عند قبر كلثوم العلوية قتل فيها جماعة من الفريقين. واشتد سودان كافور على الشيعة فكانوا اذا لقوا احداً سألوه من خالك؟ فان قال لهم «معاوية» اكرموه، وان سكت لقي المكروه واخذت ثيابه وما معه[٣]. ثم كثر القول «معاوية خال علي» وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يناديان في كل جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام «معاوية خالي وخال المؤمنين وكاتب الوحي ورديف رسول الله (صلعم)». وانما عدوا معاوية خالاً للمؤمنين لان شقيقته ام حبيبة كانت زوجاً للرسول وبالتالي امّ المؤمنين نظير عائشة وسائر ازواج النبي. وباعتبار هذه الامومة كان معاوية خالاً للمؤمنين.

ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونهبهم خرج خلق من المسلمين في شوال فلقوا كافور الاخشيدي بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا «معاوية خال علي» وسألوه ان يبعث لنصرة الحاج على الطالبيين[٤]» وبقي هذا النداء شعاراً لكل شغب واحتجاج حتى بعد قدوم الفاطميين. «وفي

١) خطط المقريزي، مطبعة النيل، ٤: ١٥٧
٢) صبح الاعشى ٣: ٤٧١
٣) اتعاظ الحنفاء المقريزي ٩٦-٩٧
٤) الخطط ٤: ١٥٥

شهر رمضان سنة ٣٦١ (٩٧٢م) قبض على عجوز عمياء تنشد في الطريق وحُبست. ففرح جماعة من الرعية ونادوا بذكر الصحابة وصاحوا « معاوية خال المؤمنين وخال علي » فبعث جوهر ونادى في الجامع العتيق : ايها الناس أقلوا القول ودعوا الفضول فاننا حبسنا العجوز صيانة لها فلا ينطقن احد الا حلت به العقوبة الموجعة . ثم أطلقت العجوز[1] وفي ربيع الاول سنة ٣٦٢ (٩٧٢م) عزّر سليمان بن مروة المحتسب جماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا « معاوية خال علي بن ابي طالب » فهمّ جوهر ان يحرق رحبة الصيارفة».[2]

التشيع في الجزيرة

روى صلاح الدين الصفدي في كتابه « الوافي بالوفيات » في ترجمة محمد بن محمد الجزري الاديب الشاعر المتوفى سنة ١٢٥٣/٦٥١ وكان شيعياً غالياً ان الاكراد كانوا يكفّرونه ويقتونه . قال : وكان اهل الجزيرة اكرادًا يقول خطيبهم «اللهم ارض عن معاوية الخال ويزيد المفضال[3]» ونقل الشهاب العمري في كلامه على طوائف الاكراد ان صاحب جولمرك كان له « قبائل وعشائر وانفار وهم ينتسبون الى عتبة بن ابي سفيان بن حرب بن امية »[4] . ومن هاتين الشهادتين يترجح الرأي القائل بان فرقة اليزيدية المشهورة كانت تنتسب الى يزيد ابن معاوية الخليفة الاموي لا الى سواه.

ولما ذكر ابن حوقل الرقة قال:« في اهلها ولاء لبني امية شديد »[5]

التشيع في خراسان

كان اسم خراسان قديماً حتى في الايام العباسية يطلق على جميع بلاد فارس وما وراءها ولذلك قال ياقوت : « اول حدودها مما يلي العراق . . . وآخر حدودها مما يلي الهند لان جميع ما ذكر من البلاد كان مضموماً الى والي خراسان.

---

١) اتعاظ الحنفا، ٨٧

٢) المقفى ١٥٦

٣) الحادي عشر من الوافي بالوفيات؛ خزانة اكسفرد Seld. arch. a. inf. 22 f° 138

٤) التعريف بالمصطلح الشريف للعمري ٣٨

٥) كتاب صورة الارض الطبعة الثانية ٢٣٦

وكان اسم خراسان يجمعها».[1] ولما تقلّص ظلّ بني امية عنها «واستقرّ امر بني العباس بالريّ هرب اكثر اهلها لميلهم الى بني امية لانهم كانوا سفيانية. فامر ابو مسلم باخذ املاكهم واموالهم ولما عادوا من الحج اقاموا بالكوفة سنة ١٣٢ (٧٤٩م) ثم كتبوا الى السفاح يتظلمون من ابي مسلم فامر برد املاكهم فاعاد ابو مسلم الجواب يعرّف حالهم وانهم اشد الاعداء فلم يسمع قوله وعزم على ابي مسلم برد املاكهم ففعل».[2]

وبقي هوى بني امية في خراسان كامناً في الصدور حقبة طويلة من الدولة العباسية. ولما زار الرحالة البشاري المقدسي، في اواخر القرن الرابع في ايام الخليفة الطائع لله، اقليم الجبال، اي اصفهان وهمذان والريّ وما اليها من مدائن الشرق قال: «هم اما غوالٍ حنابلة يفرطون في حب معاوية. او نجاريّة غالية يقطعون بالكفر على الطوائف الهادية»[3] وورد له مثل هذا في اخباره عن اليهودية قصبة اصفهان فقال: «غوالٍ حنابلة» وفي نسخة اخرى «يفرطون في معاوية»[4] واتفق له في اصفهان نكتة نثبتها في هذا المقام اشارة الى الحدّ الذي كان بلغه حب معاوية من الفشوّ والاغراق في المصر المجاور لخراسان حيث نشأت الدعوة العباسية قال:

«في اهل اصفهان بلّه وغلوّ في معاوية ووُصف لي رجل بالزهد والتعبد فقصدته وتركت القافلة خلفي وبتُّ عنده تلك الليلة وحملت اسائله الى ان قلت: «ما قولك في الصاحب؟ فجعل يلتفت ثم قال: انه انانا بمذهب لا نعرفه. قلت: وما هو؟ قال: يقول: معاوية لم يكن مرسلاً. قلت: وما تقول انت؟ قال: اقول كما قال الله عز وجل: لا نفرق بين احد من رسله. ابو بكر كان مرسلاً وعمر كان مرسلاً. حتى ذكر الاربعة ثم قال: ومعاوية كان مرسلاً. قلت: لا تعقل اما الاربعة فكانوا خلفاء ومعاوية كان ملكاً قال النبي (صلعم): الخلافة بعدي الى ثلاثين سنة ثم تكون ملكاً. فجعل يشتم علي واصبح يقول: هذا رافضيّ. فلو لم تدركني القافلة لبطشوا بي. ولهم في هذا الباب حكايات كثيرة.»[5]

ومن هنا يعرف كيف تطور حب معاوية تدريجاً، وكيف ان شقيق ام حبيبة بعد ان كان «خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين» لم يلبث ان

١) معجم البلدان ٢: ٤٠٦ – ٤١٠
٢) الكامل لابن الاثير ٥: ١٤٨
٣) احسن التقاسيم ٢٨٤
٤) » » ٢٨٨ – ٢٨٩
٥) » » ٢٩٩

صار مرسلًا . وليت البشاري نقل لنا ايضاً قسماً آخر من هـذه الحكايات الكثيرة التي اشار اليها لنقف منها على تاريخ التشيع لمعاوية في تقلباته واوصافه .

التشيع في الاندلس

لم يكن في الاندلس ما كان في الشرق من تعدّد الاحزاب والمذاهب وشدّة التخاصم والتنازع بين السنة والشيعة . وكان المذهب الغالب هنالك مذهب الامام مالك ولذلك قال ابن سيده المرسي الاندلسي صاحب المخصّص في اللغة من ارجوزة له :

اتّبع الحبر الاجلّ مالكا وان تبعت غيره فذلكا
كالشافعيّ وابي حنيفه كلاهما ذو ورع وخيفه(١

وسكت بتاتاً عن احمد بن حنبل فلم يكن من ثم للحنابلة في الاندلس شأن كما كان لهم في بغداد مثلاً ، وهم الذين تولوا فيها معاوية وافرطوا في الانتصار له . وقام منهم في خراسان غلاة تجاوزوا كل حدّ في تفضيله حتى عُدّ عند قوم منهم مرسلًا كما تقدم ولما كان الاندلس مباءة الامويين ومقرّ سلطانهم وموطن انصارهم ، كان ذكر معاوية فيه مقروناً بالرحمة والرضوان . وقد قذف ابن سيده في ارجوزته المذكورة كل من تناوله بالطعن والذم فقال :

ومن يكن يقدح في معاويه فذاك كلب من كلاب عاويه(١

ومثل هذا القول من احد اقطاب العلم في المغرب يشفّ عما كان وراءه من الحب والولاء لاول الخلفاء الدمشقيين .

ومن اشهر من عُرف ايضاً من العلماء الاندلسيين بالدفاع عن معاوية والامويين عموماً الامام ابن حزم فقد حُفظ عنه « تشيعه لامراء بني امية ماضيهم وباقيهم بالمشرق والاندلس واعتقاده بصحة إمامتهم وانحرافه عمن خالفهم من قريش . »(٢

التشيع في العراق

قد يغلب على الظن لاول وهلة ان حبّ معاوية وآله كان منحصراً في الشام وحده لم يتجاوزه قط الى العراق ، موطن الشقاق والنفاق ، في قول الحجّاج ؛

١) الخزانة الشرقية ٣ : ١٩٠
٢) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ١٣

وان دولة بني العباس لما قضت على بني امية وتتبعت رجالهم وآثارهم قتلاً وتشريدًا وتخريباً نسخت ذكرهم من الافئدة والابنية ، واستأصلت اولياءهم ودعاتهم من المدن والامصار . ولكن هنالك ادلة كثيرة على ان التشيع للامويين لم يزُل بزوال ملكهم بل ظلّ يكمن تارة ويظهر اخرى حسب تشدد السلطان في اقتفاض آثاره واقتناص انصاره . وهذه بغداد نفسها ، مع انها كانت مقرّ اعدائهم وعاصمة الخلافة العباسية ، لم تخلُ في وقت من متحيّز للعثمانية والاموية ، ومجاهر بفضائل معاوية . وقد نقل عن ابي عمر الزاهد من ائمة اللغة واكابر اهلها في بغداد حيث كانت وفاته سنة ٣٤٥/٩٥٦ انه كان « قد جمع جزءًا في فضائل معاوية فكان لا يمكّن احدًا من السماع منه حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء »[1] . وسبقه الجاحظ المشهور فوضع كتاباً في إمامة المروانية واقوال شيعتهم قال المسعودي : « ورأيته مترجماً بكتاب امير المؤمنين معاوية بن سفيان في الانتصار له من علي بن ابي طالب رضي الله عنه وشيعته الرافضة يذكر فيه امامة بني امية وغيرهم »[2]

وكانت شيعة علي في العراق ولا سيما الكوفة وبغداد تؤثم كل من دافع عن عثمان بن عفّان ولم يتبرأ من الشيخين ، وتلعن معاوية وسائر الامويين . قال ابن المبارك : من اراد الشهادة فليدخل دار البطيخ بالكوفة وليقل : رحم الله عثمان بن عفّان[3] . قال ابو عمر الهذلي : قلت لرجل من اهل الكوفة : خير موضع بالكوفة اين هو ؟ قال مسجد الجامع قلت وسوء موضع عندنا دار البطيخ فلو قال رجل في خير موضع عندكم رحم الله عثمان قُتل ولو قال في سوء موضع عندنا لا رحم الله معاوية قتل فشرّ موضع عندنا خير من خير موضع عندكم[4] .

ولذلك لما دخل الجماز الشاعر البصري بغداد في ايام جعفر المتوكل — وكان قد كتب في حمله اليه — انشده

ليس لي ذنب الى الشيعة الا خلّتين

---

١) ارشاد الاريب لياقوت ٧ : ٢٦

٢) مروج الذهب ، بهامش نفح الطيب ، ٣ : ٦١

٣) تاريخ بغداد للخطيب ١ : ٤٧

حب عثمان بن عفان وحب العشرين(١)

وفي ضدّ ذلك كان فريق من اهل السنة يصرّحون بتفضيل معاوية ويبالغون في تقدير فضائله ويعدون رافضياً كل من لم يرَ رأيهم فيه . وقد حكى البشاري المقدسي نكتة حريّة بالذكر في هذا الباب قال :

« كنت يوماً بجامع واسط واذا برجل قد اجتمع على الناس فدنوت منه فاذا هو يقول حدثنا فلان عن فلان عن النبي (صلعم) « ان الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه الى جنبه ويناوله يده (اي يطيّبه بالتالية) ثم يحمله على الخلق كالعروس فقلت له بماذا ؟ بمحاربته عليّاً ؟ رضي الله عن معاوية وكذبت انت يا ضالّ . فقال : خذوا هذا الرافضي فاقبل الناس عليّ فعرفني بعض الكتبة فكركرهم عني »(٢ (اي دفعهم وردّهم) .

واخصّ من عرفوا بموالاة معاوية والدفاع عنه الحنابلة . ولهم في بغداد مقامات مذكورة . وقد اشتهر امامهم احمد بن حنبل بحسن رأيه في معاوية وايثاره له ، فلا غرو اذا قلّده اشياعه في هذا الحب وغالوا فيه وقد سئل مرةً « ايما افضل معاوية او عمر بن عبدالعزيز فقال : « لغبار حلق بانف جواد معاوية بين يدي رسول الله خير من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه واماتنا على محبته »(٣) .

ومما تقدم يتضح ما كان للتشيّع لمعاوية في العراق من الشأن والانتشار حتى كان يجاهر بسبه بمسمع من الخلفاء العباسيين في حلقات الدروس ومجالس القضاء دون اقل انكار . واشتهر بالمغالاة فيه من اهل السنة الحنابلة كما سبق ، وهو ما اشار اليه البشاري المقدسي حيث قال : « حنابلة العراق غالية مُشَبِّهة يفرطون في حب معاوية ويزورون في ذلك اخباراً منكرة بخاصة البربهارية »(٤) .

ولم يكن هذا التعصب للخصمين علي ومعاوية لا يُسمع صداه الا في الاندية وحلقات الامراء فقط بل كان كثيراً ما يتعدى هذه المجالس والمدارس الى الازقة والسُبُل ويثير فيها من الشغب والفتن ما يتجاوز طعن الالسنة الى طعن الاسنة فتسيل الدماء وتلتهب النيران في المحالّ والابنية . وكان بعض المحتالين والفقراء يرتزقون من مثل هذه المناظرات والاهواء ويتظاهرون

١) تاريخ بغداد للبنداري ، ٦١٥٣ باريس ، ٢٦
٢) احسن التقاسيم ، ٣٦
٣) شذرات الذهب للعماد الحنبلي ١ : ٦٥
٤) احسن التقاسيم ١٢٦ ، حاشية ٢

بالانحياز الى احدى الفرقتين ويجولون في الاسواق والشوارع او يقفون في جوار المساجد والمجتمعات وهم ينشدون المدائح والترسلات باسم احد الخليفتين استمراراً لصدقات اشياعهما. حكى القاضي التنوخي عن «جماعة من شيوخ بغداد انه كان بها في طرف الجسر سائلان اعميان يتوسل احدهما بامير المؤمنين علي والاخر بمعاوية ويتعصب لهما الناس وتجيشهما القطع دارة فاذا انصرفا جميعاً اقتسما القطع فانهما كانا شريكين يحتالان بذلك على الناس»[1].

وكان السقاة يقفون في الجنائز وفي جوانب الجوامع والمساجد ويعرضون على من شاء الماء المثلوج المحلى بالسكر والسويق في الجرار والجباب ويقولون: «اشربوا على حب معاوية»[2]. ولذلك حاول الخلفاء العباسيون غير مرة النهي عن ذكر معاوية بخير وارادوا لعنه على المنابر والضرب على ايدي انصاره فاخفقوا واقصروا خوفاً من اضرام نيران الفتن بين العامة وتوسيع خرق الخلاف والنزاع. واول من هم بذلك فيما رُوي وامر بانشاء كتاب بلعن معاوية المأمون، فثناه عنه يحيى بن اكثم[3]. ومعلوم ما تقدم له من الضلع مع العلويين وكان كتابه لا يزال محفوظاً في الديوان في ايام المعتضد حين اراد سنة ٢٨٤/٨٩٧ انشاء كتاب في معناه يُقرأ على الناس «فخوّفه عبيد الله بن سليمان ابن وهب (وزيره) من اضطراب العامة وانه لا يأمن ان تكون فتنة فلم يلتفت الى ذلك من قوله ... وتقدم الى الشرّاب والذين يسقون الماء في الجامعين الا يترحموا على معاوية ولا يذكروه بخير وتحدث الناس ان الكتاب الذي امر المعتضد بانشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر فلما صلى الناس الجمعة بادروا الى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يُقرأ. فذكر ان المعتضد امر باخراج الكتاب الذي كان المأمون امر بانشائه فأُخرج له من الديوان نسخة هذا الكتاب»[4] «وذكر ان عبيدالله بن سليمان احضر يوسف ابن يعقوب القاضي وامره ان يعمل الحيلة في ابطال ما عزم عليه المعتضد في

١) نشوار المحاضرة ١: ٢٨١

٢) تاريخ بغداد للنجار، ٢١٣١ باريس، ١٦

٣) السادس من كتاب بغداد لاحمد بن طيفور، ٩١

٤) تاريخ الطبري، طبعة اوربة، ٣: ٢١٦٦ - ٢١٦٧

ذلك وقال : يا أمير المؤمنين اني أخاف ان تضطرب العامة ويكون عند سماعها هذا الكتاب حركة . فقال : ان تحركت العامة او نطقت وضعت فيها السيف فقال : يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون ويميل اليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول ومآثرهم وفي هذا الكتاب اطراؤهم واذا سمع الناس هذا كانوا اليهم اميل وكانوا هم أبسط ألسنة واثبت حجة منهم اليوم ؟ فامسك المعتضد فلم يرد عليه جواباً ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء»[1] .

وفي سنة ٣٢١/٩٣٣ «هم علي بن يلبق (احد قواد القاهر بالله) والحسن ابن هرون كاتبه بلعن معاوية بن ابي سفيان على المنابر فاضطربت العامة من ذلك وتقدم علي بن يلبق بالقبض على البربهاري رئيس الحنبلية فنُذر به وهرب وقبض على جماعة من اصحابه وجعلوا في زورق مُطبق وأحدروا الى البصرة»[2]

بقي ان نرى السبب الذي كان من اجله بعض اهل السنة وفي مقدمتهم الحنابلة يفرطون هذا الافراط في حب معاوية ويبالغون في التعصب له . وهو ما لا يكفي في تعليله ما نقل من حسن رأي الامام احمد في «صهر الرسول وامينه على وحيه» ولعلّ هذا التحزب لم ينشأ في العراق خصوصاً ولم يكن الا رجعاً لصدى مبالغات الشيعة في علي بن ابي طالب من باب مقابلة التشيع بضده ، ومكافأة الخصم بقرنه ، ثم امتزجت بذلك الضغائن والحزازات فكان بعض اهل السنة كلما انكروا افراطاً من شيعة علي تلقوهم بمثله في معاوية مناظرةً وامتثالاً[3] . وكل من طالع تاريخ العراق يعلم مبلغ العداء الذي كان مستحكماً بين السنة والشيعة وكثرة الفتن والشرور التي كانت تثور دائماً بين الفريقين ويجري فيها كل قبيح من سلب ونهب وقتل واحراق . فلا عجب

---

١) تاريخ الطبري ١١ : ٢١٦٤-٢١٧٨

٢) تجارب الامم لابن مسكويه ٥ : ٢٦٠ - ٢٦١

٣) من ادلّ الامثلة على ما كان من المناظرة هوماً بين الشيعة والسنة ما حكاه هلال الصابئ في تاريخه قال : جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب وتعليق الثياب واظهار الزينة في يوم الغدير واشعال النار في ليلته وتمر جمل في مسيجته فارادت الطائفة الاخرى من السنة ان تعمل لانفسها وفي محالها واسواقها ما يكون بازاء ذلك فادّعت ان اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حمل فيه النبي وابو بكر في الغار وعملت ما تميله

اذا كان خصوم الشيعة[1] يبالغون احياناً في المجاهرة بكل ما كانوا يعلمون انه يسوء اعداءهم اعتقاده ومن ثم لا يبعد ان يكون قسم من المتحزبين لمعاوية ولا سيما من العامة والسوقة الذين استدرجتهم البغضاء والاحقاد اكثر من الذين تلقوا التشيع من طريق الاجتهاد والاعتقاد . وقد عثرنا في هذا المعنى في مجلد من تاريخ بغداد لابن النجار في خزانة باريس ذُكر فيه غلطاً انه للخطيب البغدادي ، على نكتة فريدة تؤيد هذا الرأي نجعلها مسك الختام قال في ترجمة علي بن محمد بن الكيس ابي القاسم في رواية عنه :

« اخبرنا ابو بكر بن جعفر بن مالك القطيعي في مسجده قال : سمعت عبدالله بن احمد ابن حنبل يقول : كنت احبو فاخذني ابي بيدي وعبر بي الجسر فمضى الى شارع الرصافة فلما انتهينا اليه رأينا حباباً فيها السويق والسكر والماء المبرد بالثلج وخدماً في ايديهم الطاسات يقولون للناس : « اشربوا على حب معاوية بن ابي سفيان . قال : فقلت : يا أبه من معاوية ؟ فقال : هؤلاء قوم بغضوا رجلاً لم يكن الى الطعن عليه سبيل فاحبّوا اعداءه . قال الشيخ احفظ هذه الحكاية عن ابن مالك فهذه حكاية عجيبة ظريفة »(٢) .

قلنا واعجب من هذه الحكاية ان يكون لابن ابي سفيان اول مربّي الدول في الاسلام وسائس الامم وراعي الممالك[3] مثل هذه المكانة والشهرة الذائعة التي طبقت الامصار والآفاق وبقيت على محبته اشياع هؤلاء الغلاة في خراسان والعراق ثم لا يكون حظه اليوم في وطنه دمشق ، وهي العاصمة التي عقد لها تاج الفخر على هامة الدهر ، الا الجفاء والاطراح والنسيان وقلة الكرامة والشيعة والانصار فما احقه فيها بقول ابن حزم :

انا الطلق الذي لا عيب فيه ... سوى بلدي وانى غير طاري
تنكّر لي العراق ومن يليها ... واهل الارض ، الا اهل داري

الشيعة في يوم الغدير وجعلت بازاء يوم عاشوراء يوماً بعده بثانية ايام نسبتهُ الى مقتل مصعب بن الزبير وزارت قبره بمسكن كابزار قبر الحسين بالحائر وكان ابتداء ما عمل من يوم الغدير في يوم الجمعة لاربع بقين من ذي الحجة (سنة ٣٨٩هـ) (الثامن من تاريخ هلال الصابئ في ذيل تاريخ الوزراء ٢٧١)

١) ذكر ابن بطوطة لما مر ببغداد سنة ٧٢٧ ان قبر احمد بن حنبل « عند اهل بغداد معظّم واكثرهم على مذهبه » (رحلته ، مطبعة وادي النيل ، ١٢٦)

٢) خزانة باريس ، رقم ٢١٣١ ، ص ١٦

٣) كتاب الفخري لمحمد بن طباطبا ، طبعة مصر ، ص ٦٧